الفَصْل السَّادس

اليَوم الآخِر

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَث الأول: دليل اليَوم الآخِر والحاجة إلىٰ الإيمان به.

المَبْحَث الثاني: اليَوم الآخِر عند غير المُسْلِمِيْن:

في حَضَارَة وادي الرافدين، عند المِصْرِيِّيْن القدماء، في الديانة الزَّرَادَشْتِيَّة، عند الإغريق القدماء، عند الرُّوْمان، عند الهِنْدوس، عند الصَّابِئَة، عند اليَهُوْد، عند النَّصَارَىٰ.

المَبْحَث الثالث: اليَوم الآخِر في الإسلام:

معناه، حكم الإيمان به، الأَعْمَال بالخواتيم، التوبة، الموت، القبر، البعث والنشور، الساعة، الصور، الحشر، العرض والحساب، الحوض، المِيْزَان، الصراط، الجنة والنار.

المَبْحَث الأول

دليل اليَوم الآخِر، والحاجة إلى الإيمان به

أَدِلَّة اليَوم الآخِر[1]

يمكن أن نقيم الأَدِلَّة علىٰ اليَوم الآخِر بما يأتي:

الدليل الأول: إمكان اليَوم الآخِر.

اليَوم الآخِر ممكن الوقوع، والإشارات الدالة علىٰ ذٰلِكَ هي:

١- أن الإنسان والكون ليسا أبديين، فالنِّهَايَة المروِّعة آتية عليهما لا محالة، فالإنسان يموت، والكون يفنىٰ، وهٰذَا يعني أن نِظَام الكون الموجود حالياً سيدمر، وأن الذي نشَاهده من مَعَالِم هٰذَا النِّظَام ما هو إلَّا صورةٌ مصغرةٌ أولية، سوف يتجلىٰ عنها في صورةٍ نهائيةٍ كبرىٰ، نلقاها غداً في صورة الواقع[2].

٢- يتألف الجسم الإنساني من الخلايا، وهي ذرات صَغِيْرَة جداً ومعقدة، يَزِيْد عددها في جسم الإنسان علىٰ ألف مليون مليون خلية تبني الجسم كما يبنىٰ الجدار، وهٰذِهِ الخلايا تتغير، فيموت منها ١٢٥ مليون خلية في الثانية الوَاحِدَة.

ومعنىٰ ذٰلِكَ أن جسم الإنسان يموت ويحيا مرات كثيرة في الحياة الدنيا، ولٰكِن مع ذٰلِكَ فهو محتفظ بشخصيته، وعاداته وأفكاره، وعلمه وأمانيه وهو لا يحس بأن شَيئاً من

---

(١) انظر دليل الآخِرَة والحاجة إلىٰ الإيمان بها في: الإسلام يتحدىٰ ص٧٢ وما بعدها، وقد أحال القَارِئ إلىٰ مراجع أجنبية.

(٢) انظر تفصيل هٰذَا في الكلام عن الموت وحقيقته وقيام الساعة من هٰذَا الكتاب.

عليه القُرْآن الكَرِيْم، فيه الآيات البينات، لا يعقل أن يخلقه، وهو الحَكِيْم، عَبَثاً أو سفهاً من غير قصد حقيقي، قال تعالىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ - المُؤْمِنون.

وقال: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ - القيامة ٣٦. أي: أيحسب أن يترك مهملاً بلا فائدة، لا يُؤمر ولا يُنهىٰ؟

إن غَايَة الخلق واضحة في الآية: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ - الذاريات ٥٦، فهٰذَا تكليف وامتحان يميز به الخبيث من الطَّيِّب.

الحاجة إلى الإيمان باليَوم الآخِر

لما ثبت بما تقدم من الأَدِلَّة أن الآخِرَة ممكنة الحدوث، وأن البحوث النفسية والروحية مُؤَيِّدَة لهٰذَا الاعْتِقَاد، نبين الآن أن العالم في حاجة إلىٰ الإيمان باليَوم الآخِر، ويتضح هٰذَا في الجوانب الآتية[1]:

١ - الجانب النفسي:

إن أمل الإنسان في الحصول علىٰ حياة مفضلة، في عالم حر مثالي مليء بالأفراح، مستقل عن حدود هٰذَا العالم ومشاكله، دليل نفسي قَوِيّ علىٰ الحاجة إلىٰ وجود عالم آخر، كالظمأ الذي يَدُلّ علىٰ الماء، وعلىٰ علاقة خاصة بَاطِنَة بين الماء وبين الإنسان.

ثم إن هٰذِهِ العَقِيْدَة موجودة منذ أقدم العصور، فلو كانت باطلة لما أثّرت علىٰ البشر بهٰذَا الشكل المدهش، إذ إننا لا نجد فكرة إنسانية واهية ظلت بَاقِيَة إلىٰ العَصْر الحاضر بهٰذَا التسلسل الرائع.

(١) الكلام عن الحاجة إلىٰ الايمان بالآخِرَة في: الإسلام يتحدىٰ ص٨٢ وما بعدها.

٢- البحوث الروحية:

أثبتت البحوث الروحية الحياة بعد الموت علىٰ المستوىٰ التجريبي، فمن خصائص الإنسان التي يتمتع بها من قديم الزمان (الرؤيا)، ولٰكِن الحَقَائِق المثيرة التي اكتشفها عُلَمَاء النفس اليوم كانت عِلْمِيَّة عميقة، لم يكن للقدماء علم بها.

والبحوث الروحية وهي فرع من علم النفس الحَدِيْث تهدف إلىٰ الكَشْف عن ميزات الإنسان غير العادية، وقد أُقيمت لهٰذِهِ البحوث معاهد كثيرة في العالم، وأجرت تَجَارِب وَاسِعَة النطاق علىٰ آلاف الناس، وأثبتت هٰذِهِ المعاهد:

أن الشخصية الإنسانية تواصل بَقَاءها بعد فناء الجسد المادي في صورة غَرِيْبَة[1].

٣- الشهادة التجريبية:

والشهادة التجريبية التي تثبت الحياة بعد الموت هي: حياتنا الأُوْلَىٰ في حد ذاتها[2]، فتَسْلِيْمنا بوقوع حادث في الحال وإنكاره في المستقبل، ما هو إلَّا عداء للمنطق والعقل، وقد ذكر جميع العُلَمَاء بما فيهم دارون الذين حاولوا شَرْح الكون والحياة: أنه لو هيئت الأحوال نفسها التي ساعدت في خلق الحياة الأُوْلَىٰ، فمن الممكن حدوث الحياة ولوازمها مرة أُخرىٰ.

غَايَة الإيمان باليَوم الآخِر

حين كرم اللهُ تعالىٰ ابنَ آدم، وجعله سَيِّد المخلوقات بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ - الإسراء ٧٠، وسخر له ما في السماوات والأرض، وأنزل

---

(١) انظر أمثلة من هٰذِهِ التَّجَارِب الروحية في كتاب: الإسلام يتحدىٰ ص٩٣.

(٢) سيأتي دليل البعث الجسماني من هٰذَا الكتاب.

٢- الجانب الأخلاقي:

إن فِطْرَة الإنسان تميز بين الظلم والعَدْل، وبين الصالح والطالح، وهٰذِهِ الفطرة هي التي تميزه عن سواه ولٰكِنه قد يهدر هٰذِهِ الفطرة فيقتل بني جنسه ويشردهم، والتاريخ يفيض بقصص الظلم والعدوان، وصحفنا تتحدث يومياً عن الاغتيالات، وجرائم الخطف، والنهب، والاتهامات الكاذبة، والدعايات الباطلة، وسحق الشعوب. لٰكِن دواعي العدالة والإنْصَاف في الضمير الإنساني تؤكد أن هٰذَا العالم ناقص في حد ذاته، وهٰذَا النقص في ذاته يقتضي ما يكمله. فلا بد من يوم يجني الظالم والمظلوم ثمارهما، فلا يعقل أن المُؤْمِن المُحْسِن المطيع الذي لم يحصل علىٰ أجره في الدنيا يخسره، فتذهب مُجَاهدته لنفسه هدراً.

ولا يعقل أن الله تعالىٰ يترك الفاجر الظالم سادراً في غَيِّه، يعيث في الأرض الفساد، ويقهر الآخرين، دون أن يناله العقاب، فيقتص منه لمن ظلمه. فكل من المُحْسِن والظالم لا بد أن ينال جزاءه في اليَوم الآخِر لا محالة، إذْ فيه: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ - النَّحْل ١١١، وإلَّا لزم الظلم بالنسبة لله تعالىٰ، إذا ترك محاسبة الظالم، ومكافأة المطيع. والظلم محال علىٰ الباري عَزَّ وجَلَّ.

فالإيمان باليَوم الآخِر يجعل رقابة المرء علىٰ نفسه مستديمة، ويوفر السكينة والطمأنينة في القلوب، فيشعر المُؤْمِن بأن الدنيا متاع الغرور، فيزهد فيها، ولا يتكالب عليها، ليستأثر بما يريد، وإن أضر بمصلحة الآخرين، فتكون عندئذٍ غَايَة الحياة سَامِيةً، وهو عَمَل الخَيْر، وترك المُنْكَر، والتحلي بكل فضيلة، والتخلي عن كل رذيلة.

ومن هنا جعل القُرْآن الكَرِيْم هٰذِهِ العَقِيْدَة طريقاً للدعوة إلىٰ الفَضَائِل، فقال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ - البقرة ٢٢٣، فقرن أمره بتقوىٰ الله، بلقائه في الآخِرَة، لترسيخه في النفس.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ - البقرة

ثانياً: شروط المُعْجِزَة:

<u>الشرط الأول:</u> أن تكون المُعجِزَةُ أمراً من الله تعالى؛ ليُصَدِّق مدَّعي النبوة:

والأمر يشمل:

١- القول: كالقرآن الكريم.

٢- الفعل: كتحول عصى موسى عليه السلام إلى حيَّة، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[الأعراف:١٠٧].

٣- التَّرْك: كعدم إحراق النَّار لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[الأنبياء:٦٩].

<u>الشرط الثاني:</u> أن تكون المُعجِزَةُ خارقةً للعادة، التي اعتاد عليها الناس، واستمروا عليها مرةً بعد أخرى:

وهذا الشرط يُفيد أن غير الخارق لا يكون معجزةً، كما إذا قال: آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع، وغروبها من حيث تغرب.

<u>الشرط الثالث:</u> أن تكون المُعجِزَةُ على يد مدعي النبوة أو الرسالة.

أي أنَّ صاحبها يدعو إلى دين، فيه سعادة الناس في الدنيا في الدنيا والآخرة.

وعندئذ لا تدخل فيه الأمور الآتية:

١- **الإهانة، وهي:** ما يظهر على يد فاسق أو كافر تكذيباً له، كما وقع لمسيلمة الكذاب حين بصق في عين أعور لتبرأ، فعميت الصحيحة.

٢- **الاستدراج، وهو: ما يظهر على يد فاسق أو كافر، خديعةً أو مكراً به:**

أي: استدراجاً لهم، وزيادة في غيِّهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[الأنعام:٤٤].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا رَأَيْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ))، ثُمَّ تلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ...﴾.

٣- **المعونة، وهي:** ما يظهر على يد العوام تخليصاً لهم من شدة.

٤- **الكرامة، وهي:** ما يظهر على يد صالح تقي ظاهر الصلاح.

- **تعريف الكرامة:** هي ظهور أمر خارق للعادة على يد الولي، غير مقارن لدعوة النبوة.

موافقة والدعوى، ومقارنة زمن التكليف.

الشرط الرابع: أن لا تكون المُعجِزَة متقدمةً على دعوى النبوة:

بل مقارنة لها، أو متأخرة عنها بزمن يسير يُعتاد مثله؛ لأنَّ المُعْجِزَة شهادة من الله تعالى على صدق المدعي، والشهادة لا تتقدم على الدعوى، فخرج بذلك: الإرْهَاصَات.

والإرْهَاص لُغَةً: مشتق من أرْهَصْتُ الحائط، أي: أسسته.

أمَّا في الاصطلاح، فهو: ما كان قبل النبوة من الخوارق تأسيساً لها، كإظلال الغمام له صلى الله عليه وسلم قبل بعثته، وشقّ صدره، وككلام عيسى عليه السلام في المهد.

وهذه الإرهاصات هي بمثابة الكرامات؛ لأنَّ الأنبياء عليهم السلام قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء.

الشرط الخامس: أن تكون المُعجِزَة موافقةً لدعوى النبوة:

فخرج بذلك: المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل.

الشرط السادس: أن لا تكون المُعجِزَة مكذبةً له.

فخرج بذلك: ما إذا كانت مكذبة له، كما إذا قال آية صدقي نُطْقُ هذا الجماد، فنطق بأنَّه مُفْتَرٍ كذَّاب.

الشرط السابع: أن تتعذر معارضةُ المُعجِزَة.

- **معنى عدم المعارضة:** أن لا يستطيع أحد أن يأتي بمثل ما أتى به النبي من المُعْجِزَة أو الأمر الخارق.

وخرج بهذا الشرط ما يأتي:

١- **السحر، وهو:** قواعد تكتسب بالتعليم يُقتدر بها على أفعال غريبة.

٢- **الكهانة، وهي:** التنبؤ بالمغيبات لا عن دليل.

٣- **الشعبذة (أو الشعوذة)، وهي:** خِفَّة في اليد يُرى أنَّ لها حقيقة ولا حقيقة لها.

الشرط الثامن: أن لا تكون المُعجِزَة في زمان نقض العادة.

فخرج بذلك: الخوارق التي تظهر في زمان نقض العادات، كزمن طلوع الشمس من مغربها؛ لأنَّ ما يظهر عند ظهور أشراط الساعة وانتهاء التكاليف لا يشهد بصدق الدعوى لكونه زمان نقض العادات.

البَرزَخ

البَـرْزَخ لُـغَـةً: مـا بـيـن كـل شيئين مـن حـاجـز، وفي الآيـة: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ - الرَّحْمٰن ٢٠. أي: حاجز يمنعهما من أن يختلط أَحَدهما بالآخر.

والبَرْزَخ اصْطِلَاحاً: الحاجز بين الدنيا والآخِرَة. قال تعالىٰ: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾- المُؤْمِنون ١٠٠[1].

القبر أول منازل الآخِرَة

القبر: مفرد. وجمعه القبور، وهو جمع كثرة. وأَقْبُر، وهو جمع قلة. ويقال لمدفن الموتىٰ مَقْبَر ومَقْبَرَة[2].

سؤال القبر

ويراد به: أن الله تعالىٰ يحيي العبد المكلف في قبره بردّ الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، ليعقل ما يسأل عنه، وما يجيبه، ويفهم ما آتاه من ربه، وما أعدَّ له في قبره من كَرَامَة أو هوان[3].

والأَدِلَّة علىٰ ثُبُوْت سؤال القبر كثيرة منها:

١- قوله ﷺ: المُسْلِم إذا سُئِلَ في القبر، يَشهَدُ أن لا إله إلَّا الله، وأن مُحَمَّداً رَسُوْل الله، فذٰلِكَ قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ - إبْرَاهِيْم ٢٧. أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ.

---

(١) انظر: النِّهَايَة لابن الأَثِيْر مادة (برزخ). ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٤ والروح لابن القَيِّم ص٧٣و١٠٨.

(٢) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٤ والتَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٨٨.

(٣) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١٢٤.

ورواه مُسْلِم وفيه: عن البَرَاء بن عَازِب عن النَّبِيّ ﷺ قال: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾- ابراهيم ٢٧ قال: نزلت في عذاب القبر، فيُقال له من رَبُّكَ؟ فيقول: رَبِّيَ اللهُ، ونَبِيِّي مُحَمَّد ﷺ. فذٰلِكَ قولُه عَزَّ وجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ - ابراهيم ٢٧.

٢- قوله ﷺ: (إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره، وتَولَّىٰ عنه أصحابُه، وإنه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالهم، أتاه مَلَكَان فيُقْعِدَانِه، فيقولان: ما كنتَ تَقولُ في هٰذَا الرَّجُلِ؟ لمُحَمَّد ﷺ؟

فأَمَّا المُؤْمِن فيقولُ: أَشْهَدُ أَنَّه عبدُ الله ورَسُوْله، فيُقالُ له: انظُرْ إلىٰ مَقْعَدِكَ من النار، قد أَبْدَلَكَ اللهُ به مَقْعَداً من الجنة، فيراهُما جَميعاً...

وأَمَّا المنافقُ والكافرُ، فيُقالُ له: ما كنتَ تَقولُ في هٰذَا الرَّجُلِ؟ فيقول: لا أَدري، كنتُ أَقولُ ما يَقولُ الناسُ. فيُقالُ: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ. ويُضْرَبُ بمَطَارِقَ من حديدٍ ضَرْبَةً، فيَصيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَليهِ غيرَ الثَّقَلَيْنِ)[1].

حكم الإيمان بسؤال القبر:

الإيمان به واجب، وهو مَذْهَب الجُمْهُوْر[2].

---

(١) انظر من أَدِلَّة سؤال القبر في: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٥ والروح ص٥٣-٥٤.

حَدِيْث: **المُسْلِم إذا سُئِلَ في القبر...** إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِير - سورة إبْرَاهِيْم، ٢ باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ - إبْرَاهِيْم ٢٧، رقم ٤٦٩٩، عن البَرَاء بن عَازِب.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٥١ كتاب الجنة، ١٧ باب عرض مَقْعَد الميت، رقم ٢٨٧١، عن البَرَاء بن عَازِب.

وحَدِيْث: **إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره...** إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٢٣ كتاب الجَنَائِز، ٨٦ باب ما جاء في عذاب القبر، رقم ١٣٧٤، بهٰذَا اللفظ، عن أَنس بن مَالِك.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٥١ كتاب الجنة، ١٧ باب عرض مَقْعَد الميت...، رقم ٢٨٧٠، عن أَنس بن مَالِك.

عذاب القبر

تَصوُّر عذاب القبر ونَعِيْمه:

قال الجُمْهُوْر: إننا نؤمن بما ورد في الأخبار، ولله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونَعِيْم، ويصرف أَبْصَارنا، ويغيبه عنا.

فلو كان الميت بيننا، فلا يمتنع أن يأتيه المَلَكَان، ويسألانه، ويجيبهما من غير أن يشعر الحاضرون بهما، ومثال ذٰلِكَ: نائمان بيننا أحدهما ينعم، والآخر يعذب، ولا يشعر بذٰلِكَ أَحَد من حولهما[1].

وليس للعقل وقوف علىٰ كيفية عود الروح إلىٰ الجسد، وكيفية عذاب القبر ونَعِيْمه، لكونه لا عَهْدَ له به في هٰذِهِ الدار، والشَّرْع لا يأتي بما يُحيله المَعْقُوْل، ولٰكِنه قد يأتي بما تَحَارُ به العُقُوْل[2]، وأخبارهم قسمان:

أ- ما يشهد العقل والفطرة السَّلِيْمَة به.

ب- لا تدركها العُقُوْل كالعيوب.

فكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين:

أ- الخطأ في النقل.

ب- فساد في العقل، فتكون شبهة خيالية[3].

والعُلَمَاء يتفقون علىٰ أن الله تعالىٰ يعيد إلىٰ الميت في القبر نوع حياة، قدر ما يتألم ويتلذذ، ويشهد بذٰلِكَ الكتاب والأخبار والآثار[4].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١٢٦. وإحياء عُلُوْم الدِّيْن للغَزَالِيّ ج١ ص١١٩ وج٤ ص٤٨٥.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٥٧٨.

(٣) الروح ص٦٢ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢١ نَقْلًا عن الروح.

دخول المَلَك القبور:

يجوز تأويل دخول المَلَك القبور باطلاعه علىٰ أهلها، وهم مدركون له عن بُعْدٍ من غير دخول ولا قرب.

ويجوز أن يكون المَلَك للطافة أجزائه، يَلِجُ القبور، فيتوصل إليهم من غير نبش.

ويجوز أن ينبشها، ثم يعيدها اللهُ إلىٰ مثل حالها علىٰ وجه لا يدركها أهل الدنيا.

ويجوز أن يدخل المَلَك من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدي الإنسان إليها[1].

قال ابن القَيِّم: ومن أعظم الجهل استبعاد شق المَلَك الأرض والحَجَر، وقد جعلها اللهُ سُبْحَانَهُ له كالهواء للطير[2].

القبر رَوْضَة من رِيَاض الجنة أو حفرة من حفر النار:

قال النَّبِيّ ﷺ: إنما القبرُ رَوْضَة من رياض الجَنَّة أو حفرة من حُفَر النار). وهو بَيَان لما في القبر من نَعِيْم وعذاب.

ويجب أن يُعلَم أن ذٰلِكَ ليس من جنس نار الدنيا ونَعِيْمها، وإن كان اللهُ تعالىٰ قَادِراً علىٰ أن يحمي التراب والحجارة التي فوقه وتحته، حتىٰ يَكون أعظمَ حَرّاً من جمر الدنيا، ولو مَسَّهَا أَهلُ الدنيا لم يُحِسُّوا بها، بل أعجَبُ من ذٰلِكَ أن الرجلين يُدفَن أحدُهما إلىٰ جنب صاحبه، أحدهما في رَوْضَة من رياض الجنة، والآخر في حفرة من النار، لا يصل من أحدهما إلىٰ جاره حر ناره أو نَعِيْمه.

ولو أَطْلَعَ اللهُ تعالىٰ العِبَاد علىٰ ما هو محجوب عن إدراك العُقُوْل، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب[3].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١٢٦.

(٢) الروح ص٧٢.

(٣) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٥٨١ والروح ص٦٤-٦٦.

حَدِيْث: إنما القبرُ رَوْضَة... إلخ، في: سُنَن التِّرْمذيّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ٢٦ باب،

وعذاب القبر، وهو عذاب البَرْزَخ، ونَعِيْمه ينال مستحِقه، سواء قُبِر أم لم يُقبر، أكلته السباع أو احترق، حتىٰ صار رماداً ونسف في الهواء...[1].

وما وَرَدَ عن النَّبِيّ ﷺ من إجلاس الميت واختلاف أضلاعه ونحو ذٰلِكَ فيجب أن يُفهم عن الرَّسُوْل ﷺ مُرَاده من غير غُلُوّ ولا تقصير... لأن الدور ثلاث، لكل دار أَحْكَام تخصها، وهي:

١- دار الدنيا، وأَحْكَامها علىٰ الأَبْدَان، والأرواح تَبَعاً لها.

٢- دار البَرْزَخ، وأَحْكَامها علىٰ الأرواح، والأَبْدَان تَبَعاً لها.

٣- دار القرار، وأَحْكَامها علىٰ الأرواح والأَبْدَان جَمِيعاً[2].

أما كيفية وُصُوْل العذاب إلىٰ من تفرقت أجزاؤه في التراب أو الهواء... فإن العذاب يسري في دار البَرْزَخ علىٰ الروح، والبدن تَبَعٌ لها، وليس ببعيد علىٰ الله تعالىٰ أن يجعل للروح تعلقاً بأجزاء البدن وإن تباعدت، واليوم نرىٰ اللاسلكي والبث الإذاعي يصل إلىٰ مُخْتَلف أنحاء العالم في وقت وَاحِد، وكذٰلِكَ الحال في الكهرباء إذ تصل إلىٰ أماكن متباعدة عند فتح الصمام المخصص للإيصال، وتصرف الروح أغرب وأعجب من هٰذَا بكثير.

حكم الإيمان بعذاب القبر:

عذاب القبر للكافر والفاسق حَقٌّ، والإيمان به واجب، وهو قول الجُمْهُوْر[3].

رقم ٢٤٦٠، ص٤٠٢، عن أبي سَعِيْد الخُدْرِيّ. وقال: حَدِيْث حَسَن غَرِيْب.

(١) الروح ص٥٨.

(٢) الروح ص٦٢-٦٣.

(٣) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١٢٤ وبَحْر الكَلَام للنَّسَفِيّ ص١٦٠. وانظر الروايات في ذٰلِكَ في: شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٥ ص٤٣٦ وما بعدها.

واستدلوا علىٰ إثبات عذاب القبر بما يأتي:

١- قوله تعالىٰ في آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ - غافر ٤٦.
أي: قبل يوم القيامة وذٰلِكَ في القبر، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ - غافر ٤٦.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ - غافر ١١. فالمُرَاد بالإماتتين والإحياءين في هٰذِهِ الآية هو: الإماتة قبل مزار القبور، ثم الإحياء في القبر، ثم الإماتة فيه أيضاً بعد مَسْأَلَة مُنْكَر ونكير، ثم الإحياء للحشر. قال المُفَسِّرُوْن: والغرض بذكر الإحياءين أنهم عرفوا فيهما قدرة الله علىٰ البعث، ولهٰذَا قالوا: فاعترفنا بذنوبنا، أي الذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، وإنما لم يذكر الإحياء في الدنيا، لأنهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم في هٰذَا الإحياء.

وذهب بعضُهم إلىٰ أن المُرَاد بالإماتتين ما ذكر، وبالإحياءين الإحياء في الدنيا، والإحياء في القبر، لأن مقصودهم ذكر الأُمور الماضية، وأما الحياة الثالثة أعني حياة الحشر فهم فيها، فلا حاجة إلىٰ ذكرها.

وعلىٰ هٰذَيْنِ التَّفْسِيْرِيْن ثبت الإحياء في القبر[1].

٣- قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ - طه ١٢٤.

قال أبو سَعِيْد الخُدْرِيّ وعبد الله بن مَسْعُوْد: ضنكاً، أي: عذاب القبر.

لأصحاب التخليد من الكفار والفساق. / الروح لابن القَيِّم ص٥٨ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٣ نَقْلاً عن الروح.

وأثبته الإِبَاضِيَّة. / مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٠٥.

وأثبته الزَّيْدِيَّة أيضاً. / المَعَالِم الدِّيْنِيَّة ص١٢٣.

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣١٨. وانظر: المَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ

٤- قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ - الطُّوْر ٤٧.

قيل: هو عذاب القبر، لأن الله ذكره عَقِبَ قوله: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ - الطُّوْر ٤٥، وهٰذا اليوم هو اليوم الآخِر من الدنيا، فدل علىٰ أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر.

٥- قال تعالىٰ: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾ - التكاثر، يعني: في القبور.

٦- قال ﷺ: إنهم - أي: أهل القبور - يُعَذَّبُوْن عَذَاباً تَسمَعُه البهائمُ كُلُّها.

٧- حَدِيْث البَرَاء بن عَازِب وأَنَس بن مَالِك المتقدمان في أَدِلَّة سؤال القبر[1].

وأنكر عذابَ القبر: جَهْم[2]، والمُعْتَزِلَة[3]، وضِرَار بن عَمْرو، وبِشْر المَرِيْسِيّ[4].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص١١٣-١١٤ و١٣٣ والروح ص٥٣-٥٤ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٥ و١٣-١٤.

حَدِيْث: إنهم يُعَذَّبُوْن عَذَاباً... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ٣٧ باب التعوذ من عذاب القبر، رقم ٦٣٦٦، بهٰذا اللفظ، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٥ كتاب المساجد، ٢٤ باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، رقم ٥٨٦، عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١٢٤ والتَّمْهِيْد للأَمِشِيّ ص١٢٠ وبَحْر الكَلَام ص١٥٨.

(٣) الإِبَانَة للأَشْعَرِيّ ص٢٤٧ ورَدَّه. وفي المَوَاقِف ج٨ ص٣١٧: أكثر المتأخرين من المُعْتَزِلَة. وفي التَّمْهِيْد للأَمِشِيّ ص١٢٠ والمَقَاصِد وشرحه للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١١٣: بعض المُعْتَزِلَة. وفي بَحْر الكَلَام ص١٥٨: المُعْتَزِلَة والنَّجَارِيَّة.

ولٰكِن وَرَدَ في الفَائِق في أُصُوْل الدِّيْن للخُوَارِزْمِيّ المُعْتَزِلِيّ ص٤٦٣: (أَمَّا عذاب القبر فقد أَثبته أصحابُنا، وحَكَىٰ قَاضِي القُضَاة رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ ضِرَاراً أَنكرَ عذاب القبر، فنُسِبَ ذٰلِكَ إلىٰ أصحابنا لكثرة مخالطته لهم)، ثم أوردَ الأَدِلَّة.

أدلته ووصفه

الحَوْض الذي يُعطاه النَّبيّ ﷺ في الآخِرَة ثَابِت بالأَحَادِيْث الصَّحِيْحة.

والأَحَادِيْث الوَارِدَة في ذكر الحوض ووصفه تبلُغ حد التواتر، رواها من الصَّحَابَة بِضْعٌ وثلاثون صَحَابِيّاً، استقصاها ابن كَثِيْر في آخر تاريخه البِدَايَة والنِّهَايَة[1]، منها:

عن أبي ذَرّ قال: قلتُ يا رَسُوْل الله: ما آنيةُ الحَوْض؟ قال: والذي نفسُ مُحَمَّد بيده لَآنِيَتُهُ أكثرُ من عدد نُجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المُظلِمة المُصْحِيَة، آنيةُ الجنة مَنْ شَرِبَ منها لم يَظمأْ آخِرَ ما عليه، يَشْخُبُ فيه مِيْزَابَان من الجَنَّة، من شَرِبَ منه لم يَظمأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُوله، ما بين عَمَّان إلىٰ أَيْلَة، ماؤُه أَشَدُّ بياضاً من اللَّبَن وأَحلىٰ من العَسَل.

وقال ﷺ: حَوْضي مَسِيْرَة شَهْرٍ، وزواياهُ سَوَاء، وماؤُه أَبيضُ من الوَرِق، وريحُه أَطيبُ من المِسْك، وكِيْزَانُه كنُجُوم السماء، فمن شَرِبَ منه فلا يَظمأُ بعده أَبداً.

وعن أَنَس قال: بينَا رَسُوْل الله ﷺ ذاتَ يوم بين أَظْهُرنا، إذ أَغْفَىٰ إغفاءَةً، ثم رفع رأسَه متبسِّماً، فقلنا: ما أضحكَكَ يا رَسُوْل الله؟ قال: أُنزِلت عَلِيّ آنِفاً سورةٌ، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾، ثم قال: أتدرون ما الكوثرُ؟ فقلنا: اللهُ ورَسُوْله أَعلمُ. قال: فإنه نَهْرٌ وَعَدَنِيْهِ ربي عَزَّ وجَلَّ، عليه خَيْر كثير، هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يومَ القيامة، آنيتُه عَدَدُ

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٧٧. وانظر من هٰذِهِ الروايات في: شَرْح أُصُوْل اعْتِقَاد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة ج٥ ص٤٢٢ وما بعدها.

النجوم، فيُخْتَلَجُ العبدُ منهم، فأقول: رَبِّ، إنه من أُمَّتِي. فيقول: ما تدري ما أَحدثتْ بعدَك[1].

والذي يؤخذ من الأَحَادِيْث الوَارِدَة في صفة الحوض: أنه حوض عَظِيْم، ومَوْرِد كَرِيْم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر، الذي هو أشدُّ بياضاً من اللَّبَن، وأبرد من الثلج، وأحلىٰ من العَسَل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غَايَة الاتساع، عَرضُه وطولُه سواء[2].

أما نُبُوّته بالقُرْآن الكَرِيْم في سورة الكوثر فهو احتمال وليس بصَرِيْح، لأن العُلَمَاء اختلفوا في تَفْسِيْر الكوثر، هل هو الحوض، أو الخَيْر الكثير، أو النهر الذي في الجنة[3]؟

من يطرد عن الحوض

قال النَّبِيّ ﷺ: لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ ناسٌ من أَصْحَابِي الحوضَ، حتىٰ إذا عرفتُهم، اخْتُلِجُوا دوني، فأقول: أَصْحَابِي؟ فيقول: لا تَدْري ما أحدثوا بعدَكَ.

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣٠٣-٣٠٤ وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٧٩.

حَدِيْث: **والذي نفسُ مُحَمَّد بيده لَأَنِيَتُهُ**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٩ باب إثبات حوض نبينا مُحَمَّد ﷺ وصفاته، رقم ٢٣٠٠.

وحَدِيْث: **حَوْضي مَسِيْرَة شَهْرٍ**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٩ باب إثبات حوض نَبِيّنا مُحَمَّد ﷺ وصفاته، رقم ٢٢٩٢، عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وحَدِيْث: **بينا رَسُوْل الله ﷺ ذاتَ يوم**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤ كتاب الصلاة، ١٤ باب حُجَّة من قال: البسملة آية من كل سورة، سوىٰ براءة، رقم ٤٠٠.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٢٨٠.

(٣) انظر الأقوال العديدة في المُرَاد بالكوثر في: تَفْسِيْر القُرْطُبِيّ ج١٠ ص٧٣٠٦-٧٣٠٨.

وقال ﷺ: (إنِّي علىٰ الحَوْض حتىٰ أَنظرَ مَنْ يَرِد عَلِيّ منكم، وسيُؤخَذُ أُناسٌ دُوني، فأقولُ: يا رَبِّ مِنِّي ومِنْ أُمَّتِي، فيقالُ: أما شَعَرْتَ ما عَملوا بعدَك؟ والله ما بَرِحُوا بعدَكَ يَرجِعُون علىٰ أَعقابهم).

قال العُلَمَاء: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه[1].

حكم الإيمان به

الإيمان بالحوض واجب، فيثاب عليه من صدق به، ويبدَّع ويفسق جاحده. وهو مَذْهَب الجُمْهُوْر. لما مر من الأَحَادِيْث الصريحة بإثباته.

وفي ذٰلِكَ رد علىٰ المُعْتَزِلَة الذين نفوه[2].

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣٠٦ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٠٠ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣٠٤.

حَدِيْث: لَيَرِدَنَّ عَلِيَّ ناسٌ... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٥٣ باب في الحوض، رقم ٦٥٨٢، عن أَنَس بن مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحَدِيْث بلفظٍ آخر في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٩ باب إثبات حوض نَبِيّنا ﷺ وصفاته، رقم ٢٣٠٣، عن أَنَس بن مَالِك.

اخْتُلِجُوا: اقْتُطِعُوا.

وحَدِيْث: إنِّي علىٰ الحَوْض حتىٰ أَنظرَ... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٣ كتاب الفَضَائِل، ٩ باب إثبات حوض نَبِيّنا ﷺ وصفاته، رقم ٢٢٩٣، عن أسماء بنت أبي بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلَام ص٢٤٠ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٣٠٢. والقول بأن الحَوْض حقٌّ في: أُصُوْل الدِّيْن للعَزْنَوِيّ ص٢٢٨ ومَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٢١. وقول المُعْتَزِلَة في إنكار الحَوْض في: الإِبَانَة للأَشْعَرِيّ ص٢٤٥ ورَدّه.

المِيزَان

تعريفه

الوزن في أصل اللُّغَة: مَعْرِفَة كمية بأُخرىٰ علىٰ وجهٍ مخصوصٍ[1]. والمِيزَان في اللُّغَة: معروف.

وفي الاصْطِلَاح هو: أن الله تعالىٰ ينصب مِيْزَاناً، وله لِسَان وكِفَّتَان يوم القيامة، توزن به أَعْمَال العِبَاد خَيْرها وشرها. وهٰذَا قول الجُمْهُوْر. لظَاهِر الأَحَادِيْث الوَارِدَة في ذٰلِكَ، كما سيأتي.

قال العُلَمَاء: إذا انقضىٰ الحساب كان بعده وزن الأَعْمَال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدِير الأَعْمَال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها.

ودليل ثُبُوْت المِيْزَان من القُرْآن الكَرِيْم:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ - الأنبياء ٤٧.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾ - القارعة.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ - الأعراف ٩.

ومن السُّنَّة النَّبَوِيَّة الصَّحِيْحة أَحَادِيْث كثيرة[2]، سيأتي بعضها.

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلَام ص٢٣٤.

(٢) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣٠٩ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٨٤ نَقْلًا عن التَّذْكِرَة، وشَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٦٠٩ وما بعدها.

الموزون

اختلف العُلَمَاء في ما يوزن تَبَعاً لاختلاف الأَحَادِيْث الوَارِدَة فيه علىٰ أقوال:

القول الأول: صحف الأَعْمَال. وهو ما صَحَّحَهُ القُرْطُبِيّ وابن عبد البَرّ، وصَوَّبه الشيخ مَرْعِيّ، وذهب إليه جُمْهُوْر من المُفَسِّرِيْن، بدليل:

أ- قوله ﷺ: إن الله سيُخَلِّص رَجُلاً من أُمَّتِي علىٰ رؤوس الخلائق يومَ القيامة فيَنْشُر عليه تسعةً وتسعين سِجِلّاً، كُلُّ سِجِلّ مِثْلُ مَدّ البصر، ثم يقول: أَتُنكر من هٰذَا شَيئاً؟ أَظَلَمَك كَتَبَتِي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أَفَلَكَ عُذْر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلىٰ إن لك عندنا حَسَنَة، فإنه لا ظلمَ عليك اليومَ. فتُخْرَج له بِطاقةٌ، فيها أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُوْله، فيقول: أَحْضِر وَزْنَكَ، فيقول يا رب ما هٰذِهِ البِطَاقة مع هٰذِهِ السِّجِلَّات؟ فقال: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السِّجِلَّات في كِفَّةٍ، والبِطاقَةُ في كِفَّةٍ، فطاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وثَقُلَت البِطَاقةُ، فلا يَثْقُلُ مع اسم الله شيءٌ.

ب- إن الرَّسُوْل ﷺ سئل عما يوزن يوم القيامة. فقال: الصُّحُف[1].

---

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٨٧.

حَدِيْث: إن الله سيُخَلِّص رَجُلاً... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٧ كتاب الإيمان، ١٧ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، رقم ٢٦٣٩، ص٤٢٨، عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وقال: حَسَن غَرِيْب.

وأَخْرَجَهُ ابنُ مَاجَة في سُنَنه في: ٣٧ كتاب الزهد، ٣٥ باب ما يُرجَىٰ من رحمة الله يوم القيامة، رقم ٤٣٠٠، ج٢ ص١٤٣٧ عن عبد الله بن عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقال في أول الحَدِيْث: (يصاح برجل من أُمَّتِي يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق). وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج٥ ص٣٥٦: إسناده صَحِيْح.

ورواه ابن حِبَّان في صَحِيْحِهِ والحَاكِم والبَيْهَقِيّ، وقال الحَاكِم علىٰ شرط مُسْلِم. / لَوَامِع

ج- قال ابن عُمَر: توزن صحائف الأَعْمَال[1].

القول الثاني: العامل. بدليل:

أ- حَدِيْث البِطاقة السَّابِق الوارد بلفظ آخر: توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتىٰ بالرجل فيوضع في كِفَّةٍ... الحَدِيْث.

ب- قوله: إنَّه لَيأتي الرجلُ العَظِيْم السَّمِيْن يومَ القيامة، لا يَزِنُ عندَ الله جَناحَ بَعُوضةٍ، وقال: اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ - الكهف ١٠٥.

ج- عن ابن مَسْعُوْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يَجْتَنِي سِواكاً من الأَرَاك، وكان دقيقَ السَّاقَيْن، فجعلت الريحُ تَكْفَؤُه، فضحك القوم منه، فقال رَسُوْل الله ﷺ: مِمَّ تَضحكون؟ قالوا: يا نَبِيّ الله، من دِقَّة سَاقَيْه. فقال: والذي نفسي بيده لهما أَثقلُ في المِيْزَان من أُحُد[2].

قال مُحَمَّد بن يَحْيَىٰ: **البِطَاقَة**: الرُّقْعَة، وأهل مِصْر يقولون للرُّقْعَة: بِطَاقَة. / سُنَن ابن مَاجَة السَّابِق، والتَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ.

وحَدِيْث: سئل عما يوزن... إلخ، ذكره الفَخْر الرَّازِيّ وغيره، وحكاه ابن عَطِيَّة عن أبي المَعَالي. / لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة السَّابِق.

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣١٣.

(٢) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٦١٠.

حَدِيْث: إنَّه لَيأتي الرجلُ العَظِيْم... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيْر، ٦ باب ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ - الكهف ١٠٥، رقم ٤٧٢٩، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهو في صَحِيْح مُسْلِم في: ٥٠ كتاب المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٥، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحَدِيْث ابن مَسْعُوْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يَجْتَنِي سِواكاً... إلخ، في: مُسْنَد الإمَام أَحْمَد ج١ ص٤٢٠-٤٢١. وهو حَدِيْث حَسَن. انظر تَخْرِيْجه في هامش ص٦١١ من شَرْح العَقِيْدَة

القول الثالث: الأَعْمَال. بدليل:

أ- قوله ﷺ: الطُّهُور شَطْر الإيمان، والحمدُ لله تَملأُ المِيْزَان.

ب- قوله ﷺ: كَلِمَتَان خَفِيْفَتَان علىٰ اللِّسَان، ثقيلتانِ في المِيْزَان، حَبِيْبَتَانِ إلىٰ الرَّحْمٰن، سُبْحَانَ الله وبحمده، سُبْحَانَ الله العَظِيْم[1].

---

(١) شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٦١١ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٩٢ وفيها الأقوال الثلاثة. وذكر القولين الأول والثالث الغَزْنَوِيّ في أُصُوْل الدِّيْن ص٢٢٧. وقال البَاقِلَّانِيّ في الإنْصَاف ص٥٢: الموزون في المِيْزَان هو صحائف الأَعْمَال.

حَدِيْث: **الطُّهُور شَطْر الإيمان**... إلخ، في: صَحِيْح مُسْلِم في: ٢ كتاب الطهارة، ١ باب فضل الوُضُوء، رقم ٢٢٣، عن أبي مَالِك الأَشْعَرِيّ.

وحَدِيْث: **كَلِمَتَان خَفِيْفَتَان علىٰ اللِّسَان**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨٣ كتاب الأَيمان والنذور، ١٩ باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلىٰ...، رقم ٦٦٨٢، بهٰذَا اللفظ. وفيه حَدِيْثَان مقاربان باللفظ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ٦٥ باب فضل التسبيح، رقم ٦٤٠٦. و٩٧ كتاب التَّوْحِيْد، ٥٨ باب قول الله تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾ - الأنبياء ٤٧، رقم ٧٥٦٣. وكلها عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٤٨ كتاب الذِّكْر والدعاء، ١٠ باب فضل التهليل والتسبيح...، رقم ٢٦٩٤، بهٰذَا اللفظ، عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وسُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٤٤ كتاب الدَّعَوَات، ٥٩ باب، رقم ٣٤٦٧، ص٥٤٧. وهو في عَارِضَة الأَحْوَذِيّ ج١٣ ص١٦.

وسُنَن ابن مَاجَة في: ٣٣ كتاب الأدب، ٥٦ باب فضل التسبيح، رقم ٣٨٠٦، ج٢ ص١٢٥١ عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِه سُنَن ابن مَاجَة ج٤ ص٧١٥: إسناده صَحِيْح.

ومُسْنَد أَحْمَد ج٢ ص٢٣٢.

وانظر الحَدِيْث مُخَرَّجاً مشروحاً في كتابي: الكَمَال بن الهُمَام وتَحْقِيْق رسالته: إعراب

الحكمة من الميزان

هي إظهار العَدْل وبَيَان الفَضْل، حيث إنه يزن مثاقيل الذَّرّ من خَيْر وشر[1]، فهو عَلَامَة لأهل السَّعَادَة والشقاوة، وبه يعرف العِبَاد ما لهم وما عليهم من الخَيْر والشر، فتقام الحُجَّة عليهم[2].

كيفية الوزن

ويكون بمُقَابَلَة الحَسَنَات بالسيئات، كلٌّ في كِفَّة[3]، في قول الجُمْهُوْر.

لمن يكون الوزن؟

توزن أَعْمَال من خلط عَمَلاً صالحاً وآخر سيئاً من المُؤْمِنين، لينال كلٌّ جزاءه.

وتوزن أَعْمَال المُؤْمِنين المُتَّقِيْن لإظهار فضلهم.

أما السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب - كما ورد في الحَدِيْث - فلا ترفع لهم مِيْزَان. ولا يأخذون صحفاً، وإنما هي براءات مكتوبة: لا إله إلَّا الله مُحَمَّد رَسُوْل الله، هٰذِهِ براءة فُلَان بن فُلَان، قد غفر له، وسَعِدَ سَعَادَة لا يشقىٰ بعدها.

وتوزن أَعْمَال الكافرين، إظهاراً لخزيهم وذلهم، وتبكيتاً علىٰ خلوهم من كل خَيْر[4].

---

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٨٨. وانظر: شَرْح العَقِيْدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العِزّ ص٦١٣.

(٢) شَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٩٣.

(٣) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣١٢.

حكم الإيمان به

الإيمان بالمِيْزَان واجب، وهو قول الجُمْهُوْر، لثُبُوْته بالكتاب والسُّنَّة كما تقدم[1].

وأنكر المِيْزَان جَهْم بن صَفْوَان[2]، والمُعْتَزِلَة والإِبَاضِيَّة والمُرْجِئَة والخَوَارِج، وزعموا أن المِيْزَان هو العَدْل، لأن الأَعْمَال عندهم هي أعراض، والأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بنفسها[3]، ولا توصف بالخفة والثقل.

وجوابه هو:

أَنَّ جسم الإنسان وغيره من الجَوَاهِر علىٰ الأرض له وزن معين، وذٰلِكَ بتَأْثِيْر الجاذبية الأرضية، ولٰكِن حين ينفصل عن جاذبية الأرض ينعدم وزنه، فالجسم في القمر مثلاً ليس له وزن وفي الأرض له وزنه. كذٰلِكَ الأَعْمَال وهي أعراض في الدنيا لا وزن لها، لٰكِن لا مَانِع من أن تقلب في الحياة الآخِرَة أجساماً فتوزن.

يؤيد هٰذَا:

أ- ما روي عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن الله تعالىٰ يقلب الأعراض أجساماً، فيزنها يوم القيامة.

---

(١) شَرْح الجَوْهَرَة لعبد السَّلَام ص٢٣٣-٢٣٤. وانظر: أُصُوْل الدِّيْن للغَزْنَوِيّ ص٢٢٧ وفيه: المِيْزَان ذو الكفتين حَقٌّ.

(٢) التَّنْبِيْه والرَّدّ ص١١٠.

(٣) رِسَالَة في التَّوْحِيْد للطَّائِيّ ص١١٤. وذُكِرَ في: مَشَارِق أَنْوَار العُقُوْل ج٢ ص١٢٥ قول الإِبَاضِيَّة وجُمْهُوْر المُعْتَزِلَة. وذكر الشيخ عبد القَادِر في الغُنْيَة ج١ ص٨١ قول المُعْتَزِلَة والمُرْجِئَة والخَوَارِج ورَدَّ عليهم. وذَكَرَ في المَوَاقِف ج٨ ص٣٢١: (أنكره المُعْتَزِلَة عن آخرهم). وفي شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٢٠: (وأنكره بعض المُعْتَزِلَة). وفي بَحْر الكَلَام ص١٥٠: (قالت المُعْتَزِلَة: لا مِيْزَان ولا حِسَاب ولا صِرَاط ولا حَوْض ولا شَفَاعَة... وكُلُّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ اللهُ تعالىٰ فيه المِيْزَان والحِسَاب أرادَ به العَدْل).

ب- قوله ﷺ: (يؤتىٰ بالموت كبشاً أَغْثَرَ، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، فيَشْرَئِبُّون وينظرون. ويقال لأهل النار، فيَشْرَئِبُّون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفَرَج، فيذبح فيقال: خلوداً لا موت)[1].

فالموت، وهو عَرَض في الدنيا، يُقلب جسماً في الآخِرَة ويُذبح، فكذٰلِكَ الأَعْمَال.

الصِّرَاط

تعريفه

الصراط لُغَةً: الطريق الواضح. من سرطت الشيء إذا ابتلعته (بالصاد والسين)، لأنه يبتلع المارة. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ - الأنعام ١٥٣.

واصْطِلَاحاً: هو جسر ممدود علىٰ ظهر جهنم، يعبر عليه جميع الخلائق، المُؤْمِن وغير المُؤْمِن[2]، فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار[3].

وأَدِلَّة ثُبُوْت الصِّرَاط من القُرْآن الكَرِيْم آيات منها:

أ- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ - يس ٦٦.

---

(١) التَّذْكِرَة للقُرْطُبِيّ ص٣١٣ والمَوَاقِف وشرحه ج٨ ص٣٢١.

وحَدِيْث: **يؤتىٰ بالموت كبشاً**... إلخ، في: مُسْنَد أَحْمَد ج٢ ص٤٢٣، عن أبي هُرَيْرَة.

أَغْثَر: كثير الصوف.

اشْرَأَبَّ الرَّجُلُ: مَدَّ عنقه لينظر.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٣٢١. وانظر: شَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص١٢٠ ولَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص١٨٩ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢٩٤.